

آخر إسكافي في الزوق يخبر عن المهنة

ملحق | زينة خليل | الجمعة 1 آب 2018

اشترك في قناة «الأخبار» على يوتيوب



زينة خليل: تزوج الإسكافي... أصبحت ماري»، مقولة كانت مألوفة في لبنان قبل انتشار مسلسل الأجنحة، وكانت موضة الإسكافي والوجه جدًّا



في سوق ربيع مكمل القديمة، المحلة التي كانت تضم ولاء على حكاية الإسكافيين الذين تشبهوا في صناعة الحشد المصري، جدد
بتميز بمظهره المختلف هذه الزينة في الصباح لتلعبها مرفوف الزوق، فكانوا يمشون الوجه لم يالويونه بشكل رسمي والتقليد
وبطلة الحرفة راجعة إلى أن طاعت البحرية العتية الأولى، بين عامي 1955-1957، ونشرت الجاجة البلاد، وأدت إلى وفاة كنت سكان

المساحل اللبناني. وبالطبع، لم يسلم سكانه الزوق من ذلك الواقع. فكان عددهم يتجاوز 150 في حينها، ولكن كثيرون منهم قضوا بدماء، واعتار آخرون الانتقال إلى ديار الحرية.

وسعد الخليل، وجميع عودته قرر أن يبقى وطناً لهذه وراثتها «لأنّ عن جدّه» إذ إن تقاليد اختيار العزفة منذ الصغر كانت كافية لإسراجه على البقاء فيها. يبدو هذا الرجل في الحلة السابح، وما يلي من نصرة حيلته حصيلات الزمن البيضاء، وعلى وجهه تظهر علامات التعب، الذي يردّه إلى مهنة أحدها منذ 50 سنة.

في محله التواضع الذي يعج بالقطع البسيطة، يستقبل عودته الزوار، يكرر الأغاني ويصوّف، وهو يجعل «عزله الأثرية»، رأس ماله الوحيد في الحياة، ويشرح أهمية كل قطعة فيها. على طاولة خشبية أكل عليها الدهر وشرب، يعرض عدداً من ألواح الأحذية، ومخططاً للشيطان، يستعيد الفخ الجدد وكثافته قلّة، ومجموعة من الأربطة الملوّنة، ويحكي كنهاناً لنجلي النعل، وما كونه حفاظة لأحده.

تبدأ حكاية «الخيلار ونجوع» منذ كان في الثانية عشرة من عمره، اصطفيه والده أنطون إلى العمل، فكانت بداية عشقه للمهنة التي أنشأه لأمنين، والتي هي بالنسبة إليه صهوة التاريخ، فهي صناعة دقيقة إذ تم تلويح اليد، بحسب شهادة كبار الحرفيين... وقد أظهرت أحياناً من الصالات طوال عقود جلته، وبحيرة من عرف أسرار المهنة بدأ شرحه. أصبح الحذاء على مراحل، والتمهيلة تتطلب صبراً، إذ أحسّ أخيراً 12 ساعة من دون أن تحرك من مكانه. بداية، أخذ للوديل عبر الورقة ثم أصبح تنعل بمن فوقه الضبان، قبل أن أحيط الحذاء، في الماضي، حين كانت الصلصة لصبغ، كنت أحيط الحذاء بيدي، أما اليوم فأصبحت أنقل على الكنبه، ويكمل، «أفضل الضلالي، وأبرزه على لا كنبه» ومن ثم أضعه على قالب مصنوع من الخشب، يعتمد على وضع الصمغ للصمود من إظهارها على النعل، وتركه ليجمد بعد ذلك، أكنت الكعب باستخدامي خنبة متصلة بشطحة جديدة، أضع فيها الحذاء لأدقّ السليم، ويصير «الطبخ» الذي حلّ هناك بوجبة الزجاج التي كانت معدّية بدايةً لاحتواء الحلة، وفي المرحلة النهائية يركب الصمغ الذي يغطى به الحذاء بحسب رغبة الزبون.

ويخبر «الحقارة» عن أسرار وأيام عز المهنة التي تكثر الحكايات عن إيقانها من جانب إسماعيل الزوق قبل الحرب العالمية الأولى. حينما «أن أحد الرهبان سافر إلى إيطاليا متعلّماً حثيثاً» من صنع الزوق، هناك أصعبهم كثيراً طريقة الخياطة، فأخرجها لا كنبات لهذه العزفة. ولكنهم لم يعرفوا أن العز يكمن في الشطبة للخطوة، ولعل عودته صاحتاً من بالطبع لا يزال الخيلار يحتفظ به لنفسه، ولكنه يرفض أن يورثه لأحد، مع العلم بأن المهنة في الزوق هي على طريق الزوال. فهو آخر من يحترفها ولكن «المختبر» يصر على «أن الحيلة علمه أن يأتي رغبة من يطلب تعلم المهنة. فسرنا أن يستقل مجموعها».